أمراض القلوب الواردة في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

م.م. حيدر ناصر سلمان شفلح

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الأولى

ملخص

سلَّطت الضوء في هذا البحث على أمراض القلب الواردة في القرآن الكريم، وبيَّنت المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالموضوع، وجرى الحديث فيه عمَّا يعتري القلب من أمراض، وعن أسبابها، فوجدتها تسعة أمراض، هي: الرَّين، والغلف، والصَّرف، والختم، والقسوة، والإقفال، والأكنّة، والطبع، والزيغ. وأمَّا أسباب هذه الأمراض، فكانت سببين رئيسين، الأول: اقتراف الذنوب واكتساب المعاصي، والتي نتجت عن الكسب الحرام، والتكبّر، والتجبّر، واتباع الهوى، والغفلة عن ذكر الله، ونقض العهد والميثاق، واتباع الشيطان، وطول الأمل. والسبب الثاني: الإعراض عن الحق ونكرانه بعد المعرفة، والذي نتج عن الكفر، والانحراف، وترك الحق.

Heart Diseases in the Holy Koran

Haider nasir salman Shifalah

Ministry of Education - AlRusafa ALAula Education Department

Abstract

This research studies the diseases of the heart in the holy Koran. it starts with an introduction which illustrates the main points of the subject. The first section shows nine of those diseases. Section two tackles the reasons and origin of heart diseases.

المقدمة

اهتم القرآن الكريم بالإنسان، فوجه خطابه إليه، تارة إلى عقله ونفسه وأُخرى إلى جوارحه وجوانحه، ولعل الخطاب القرآني الموجه إلى قلب الإنسان يحتل الصدارة في الأولوية والاهتمام؛ لما له من أهمية في تحديد مسار الإنسان، بل يعد القلب في القرآن الكريم إعجازًا يُضاف إلى جانب الإعجاز اللغوي والبياني والعلمي و.... الخ. فالقلب في القرآن الكريم ليس تلك القطعة الصنوبرية الشكل، ولا تلك الآلة التي تقوم بوظيفة الانقباض والانبساط، بل نجد القرآن الكريم كرر ذكر القلب مئة واثنتين وثلاثين مرة[١]، وفي آيات كثيرة يجعله مرتكزًا ومحورًا لكثير من الأُمور، وكأن القلب المخاطب في القرآن الكريم كائن آخر مهيمن على الإنسان، ففي القلب يكمن التعقّل، وفي القلب تكمن البصيرة والعمى، قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٢]، بل عدَّ القرآن الكريم القلب نافذة الروح وعينها، فتمرض إذا مرض، وتسلم إذا سلم، ولأهمية القلب ومكانته ودوره الريادي في صناعة مستقبل الإنسان الدنيوي والأُخروي، سلطت الضوء في بحثي هذا، بعد بيان المفاهيم والمصطلحات الواردة في العنوان الرئيس على ما يعتري القلب من أمراض، مع بيان أسباب تلك الأمراض، حتى يتأتى للإنسان معرفة مكامن الخطر التي تعترض قلبه، فيحرص على سلامته، ويتمكن من صناعة غدٍ مشرق. وتتضمن هذه الدراسة مدخلًا ومبحثين، وأما المدخل فقد عرَّف بمعنى المرض والقلب، واشتمل المبحث الأوَّل على أمراض القلوب الواردة في القرآن الكريم، وبيَّن المبحث الثّاني أسباب أمراض القلوب.

مدخل : تعريف المرض والقلب:

أولًا: المرض لغة: جاء في (مقاييس اللغة) " الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان"[٣].

وورد في (لسان العرب) أنَّ المرض هو النقصان، فإذا كان في البدن فهو نقصان القوة، وإذا في القلب فنقصان الدين، وإذا في الطبيعة فيعني نقصان اعتدالها، إظلامها واضطرابها بعد صفائها واعتدالها[٤].

فالمرض: هو ما اخرج عن حالة الصحة والاعتدال، ويكون ماديًا ومعنويًا[٥].

ثانيا: المرض اصطلاحًا: هو الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان.

حيث جاء في (مختصر تفسير البغوي) "وأصل المرض الضعف، سمي الشك في الدين مرضًا؛ لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن"[٦].

وورد في (المفردات) بأنه الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، سواء كان مرض جسمي بالعلل والأمراض أو مرض خلقي بالرذائل السلوكية، من النفاق والبخل والجهل والجبن، وغيرها من الرذائل[٧].

ثالثًا: القلب لغة: إن المتأمل في الحصيلة اللغوية الواردة في معاجم اللغة العربية يجد أن مفهوم القلب لغة يأتي على عدة معانٍ، أهمها:

أولًا: خلاصة الشيء وشريفه[٨].

ثانيًا: تحويل الشيء عن وجهه وصرفه[٩].

ثالثًا: العقل، في (الصحاح) :" وقد يعبر به عن العقل"[١٠].

رابعًا: القلب اصطلاحًا: جاء لفظ القلب بالمعنى الاصطلاحي على معنيين:

المعنى الأول: قطعة اللحم الصنوبرية الشكل، والآلة المودعة في الجانب الأيسر من الصدر، والتي تقوم بوظيفة الانقباض والانبساط فتضخ الدم إلى جميع أنحاء الجسم[١١]

المعنى الثّاني: لطيفة ربانية روحانية، لها تعلّق بهذا القلب الجسماني، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهي المدرك والعالم العارف من الإنسان[١٢].

ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا المبحث لم نعنِ به تلك القطعة اللحمية الصنوبرية الشكل، فإنه قطعة لحم لا قيمة لها، وهو من عالم الملك والشهادة، إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلًا عن الآدميين، وإنما مرادنا تلك اللطيفة الربانية الروحانية، التي لها بهذا القلب الجسماني تعلّق والتي هي حقيقة الإنسان.

المبحث الأوّل: أمراض القلوب في القرآن الكريم:

" القلب شرف الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق، باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره، وإنما استعدَّ للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله تعالى، وهو العامل لله تعالى، وهو الساعي إلى الله تعالى، وهو المتقرب إليه، والجوارح أتباع له وخدم، وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المِلك للعبيد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة، والقلب هو المقبول عند الله تعالى، إذا سلم من غير الله تعالى، وهو المحجوب عن الله تعالى إذا صار مستغرقًا بغير الله تعالى، وهو المطالَب والمخاطَب، وهو المُثاب والمُعاقَب، وهو الذي يستعد بالقرب من الله تعالى، فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودساه"[١٣] ، ومن هنا وللأثر العظيم الذي يؤديه القلب في مستقبل

الإنسان، نطل في هذا المبحث على مجموعة من الأمراض التي يبتلي بها القلب، فتصرعه وترديه، وتربكه وتعميه، فنذكر تسعة أمراض تصيب القلب .

أوّلًا: الرين:

كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤).

الرين هنا على وزن عين، وهو الصدأ الذي يعلو الشيء الجليل، وقيل: الشيء الذي يعلو القلب.

حيث ذكر في (المفردات) الرين: صدأ يعلو الشيء الجلي، قال تعالى: ﴿ ... بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ... ﴾، بمعنى علاها كصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر(١٥).

وورد في تفسير(مجمع البيان) أنَّ ما كانوا يكسبون غلب على قلوبهم، بمعنى غلبت ذنوبهم على قلوبهم، وقيل: إنَّ معنى الرين هو: الذنب على الذنب حتى يموت القلب، فكثرت المعاصي منهم والذنوب وأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها (١٦).

وجاء في تفسير (الميزان) " قوله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ردع عن كسب الذنوب الحائلة بين القلب وإدراك الحق"(١٧).

وفي تفسير (الأمثل) الرين: هو صدأ يعلو الشيء الجلي، واستعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في حديثه عن قلوب الغارقين في أوحال الفساد والرذيلة (١٨).

ثانيًا: الغلف.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾(١٩).

والغلف: جمع أغلف أو غلاف، يقال: غلفت السيف والقارورة، أي جعلت لها غلافا، (وقلوبنا غلُف) أوعية للعلم، وقيل: بمعنى: قلوبنا مغطاة (٢٠).

ورد في(مفاتيح الغيب) ثلاثة وجوه في تفسير الآية :

الأول: إنَّ قولهم يعني قلوبنا مغشَّاة بأغطية، فلا تصل الدعوة إليها، والثّاني: إنَّ غُلف: يعني أنها مملوءة بالحكمة والمعرفة، فلا حاجة بهم إلى دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). والثّالث: إنَّ غلف: كالغلاف الخالي الذي لا شيء فيه(٢١).

وجاء في تفسير (البرهان) أنَّ هؤلاء اليهود الذي أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم المعجزات المذكورات، قالوا: قلوبنا غلف في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك، فرد عليهم الله تعالى، بقوله: ﴿ ... بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ ... ﴾ وأبعدهم الله تعالى من الخير[٢٢].

وفي تفسير (الميزان) "غلف: جمع أغلف من الغلاف، أي قلوبنا محفوظة تحت لفائف وأستار وحجب، فهو نظير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾[٢٣]. وهو كناية عن عدم إمكان استماع ما يدعون إليه" [٢٤].

وذكر في تفسير (الأمثل) " وقالوا: قلوبنا غلف، والغلف: جمع أغلف، أي مغلف. نعم إنها كذلك مغلفة وبعيدة عن نفوذ النور الإلهي إليها؛ لأن أصحابها لُعنوا بعد التمادي في الكفر بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون" [٢٥].

ثالثًا: الصَّرف:

كما في قوله تعالى: ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ [٢٦].

الصرف عند الفقهاء: رد الشيء عن وجهه أو أبداله بغيره[٢٧]، والصرف: العقوبة يصرف الله فيها القلوب اللاهية عن ذكره.

ورد في تفسير (جامع البيان) أنَّ الله تعالى صرف المنافقين عن الخير والتوفيق والإيمان بالله تعالى[٢٨].

وذكر في تفسير(الميزان) ظاهر السياق أنَّ المعنى: ثم انصرفوا من عند النبي (صلى لله عليه وآله وسلم)، في حال صرف الله قلوبهم عن وعي الآيات الإلهية والإيمان بها، بسبب أنهم قوم لا يفقهون الكلام الحق، فالجملة حالية على ما يجوزه بعضهم. وربما احتمل كون قوله تعالى: (...صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ...) دعاء منه تعالى على المنافقين، وله نظائر في القرآن، والدعاء منه تعالى على أحدٍ وعد منه بالشر[٢٩].

وجاء في تفسير (الأمثل)" أنَّ هؤلاء إنما لا يريدون سماع كلمات الله سبحانه ولا يرتاحون لذلك؛ لأن قلوبهم قد حاقت بها الظلمات لعنادهم ومعاصيهم فصرفها الله سبحانه عن الحق، وأصبحوا أعداء للحق؛ لأنهم أناس جاهلون لا فكر لهم: صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون"[٣٠].

رابعًا: الختم:

ورد الختم على القلوب في عدة آيات من القرآن الكريم منها، قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾[٣١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾[٣٢] وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾[٣٣].

الختم: بلوغ آخر الشيء، والختم على القلب أن لا يفهم شيئًا، ولا يخرج منه شيء، كأنه طبع[٣٤].

ورد في تفسير (الميزان) "قوله تعالى ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ... ﴾ يشعر بتغيير السياق، حيث نسب الختم إلى نفسه تعالى والغشاوة إليهم أنفسهم، بأن فيهم حجابًا من دون الحق في أنفسهم وحجابًا من الله تعالى عقب كفرهم وفسوقهم، فأعمالهم متوسطة بين حجابين: من ذاتهم ومن الله تعالى"[٣٥].

وفي تفسير (تقريب القرآن): ختم الله على قلوبهم يعني طبعها بالكفر، أي جعلها بحيث يصعب إيمانها؛ لأنها اعتادت الكفر، وعدم الاستماع إلى الحق[٣٦].

وجاء في تفسير (الأمثل): إن الله تعالى ختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، بمعنى أن أجهزة استقبال الحقائق التي كرمهم الله بها معطوبة عندهم، فالعين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والأُذن التي يسمعون بها نداء الحق، والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطلت وتوقفت عن العمل لدى الكافرين، فهؤلاء لهم عيون وآذان وعقول، لكنهم يفتقدون قدرة الرؤية والإدراك والسمع؛ لأن انغماسهم في الانحراف وعنادهم ولجاجهم كلها عناصر تشكل حجابًا أمام أجهزة المعرفة[٣٧].

خامسًا: القسوة:

القسوة: ذهاب اللين والرحمة والخشوع من القلب[٣٨]، ومن القسوة عدم التأثر عند تألم أبناء النوع، أو عند مشاهدة تألم أبناء النوع. وبعبارة أخرى: هي الشِدّة والغلظة في القلب، وهي نوع من أنواع الأمراض التي تعتري قلب العبد، وهناك آيات كثيرة تحدثت عن القسوة، وبيّنت حقيقة هذا الذنب الّذي حجب العبد عن مولاه، منها: قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٤١]، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤٤]،

جاء في تفسير(الميزان): القسوة في القلب بمنزلة الصلابة في الحجر، وقد بيّن المولى جلَّ وعلا شدة قسوة قلوبهم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ .. ﴾، وقوبل فيه بين الحجارة والماء؛ لكون الحجارة يُضرب بها المثل في الصلابة وكون الماء يُضرب به المثل في اللين فهذه الحجارة على كمال صلابتها يتفجّر منها الأنهار على لين مائها وتشقق فيخرج منها الماء على ليّنه وصلابتها، ولا يصدر من قلوبهم حال يلائم الحق، ولا قول حق يلائم الكمال الواقع[٤٥].

وورد في تفسير (الأمثل) أنَّ قلوب بني إسرائيل لم تلن، بل بقيت على قسوتها وغلظتها وجفافها، ثم قست قلوبكم من بعد ذلك، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، بل إن بعض الحجارة تتفجّر منها الأنهار، أو تنبع منها المياه أو تسقط من خوف الله تعالى، لكن قلوب بني إسرائيل أشد قسوة من

الحجارة، فلا تنفجر منها عاطفة ولا علم، ولا تنبع منها قطرة حب، ولا تخفق من خوف الله تعالى، والله تعالى هو العالم بم تنطوي عليه القلوب وما تفعله الأيدي(٤٦).

وجاء في الأمثل أيضًا، في تفسير الآية المباركة ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٤٧). أي: " أنهم لكثرة آثامهم وعنادهم في الشرك زايلت الرحمة قلوبهم والليونة أرواحهم"(٤٨)؛ ولذلك قست قلوبهم.

سادسًا: الإقفال.

كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٤٩).

"والأقفال: جمع قفل، وهي في الأصل من مادة القفول، أي: الرجوع، أو: من القفيل، أي: الأشياء اليابسة"(٥٠).

ورد في تفسير (مفاتيح الغيب) " ونحن نقول: التنكير للقلوب للتنبيه على الإنكار الذّي في القلوب وذلك؛ لأن القلب إذا كان عارفًا كان معروفًا؛ لأنه خُلِق للمعرفة، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف... وفي قوله ﴿ أَقْفَالُهَآ ﴾ بالإضافة، ولم يقل أقفال، كما قال: ﴿ قُلُوبٍ ﴾؛ لأن الأقفال كانت من شأنها، فأضافها إليها كأنها ليست إلا لها. وفي الجملة لم يضف القلوب إليهم؛ لعدم نفعها إياهم، وأضاف الأقفال إليها؛ لكونها مناسبة لها، ونقول أراد به أقفالًا مخصوصة هي أقفال الكفر والعناد"(٥١).

وذكر في تفسير (الجامع لأحكام القرآن) أفلا يتفهمون القرآن فيعلمون ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام، أم على قلوب أقفال أقفلها الله عز وجل فهم لا يعقلون(٥٢).

وجاء في تفسير (الأمثل) أَنَّ الآية تبيّن أَنَّ عامل مسكنة هؤلاء وضياعهم إما أنهم لا يتدبرون في القرآن- برنامج الهداية الإلهية، والوصفة الطبية الشافية تمامًا- أو أنهم يتدبرونه؛ إلا أن قلوبهم مقفلة نتيجة اتباع الهوى، والأعمال التي قاموا بها من قبل، وهي مقفلة بشكل لا تنفذ معه أي حقيقة إلى قلوبهم، وبتعبير آخر، فإنهم كرجل ضل طريقه في الظلمات، فلا سراج في يده، ولا هو يبصر إذ هو أعمى، فلو كان معه سراج، وكان مبصرًا، فإن الاهتداء إلى الطريق في أي مكان سهل ويسير(٥٣).

سابعًا: الأكنّة.

ورد ذكرالأكنّة كمرض يصيب القلب في آيات متعددة من الذكر الحكيم،منها قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾(٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا... ﴾(٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾(٥٦)، والأكِنّة: جمع كِن بالكسر وهو ما يحفظ فيه الشيء، ويستر به عن غيره، فالكِنان: الغطاء الذي يكن فيه الشيء، والاكِنّة، نحو: أغطية(٥٧)، أي أن الأمر لا يقتصر هنا على غطاء واحد، بل أكثر من غطاء.

جاء في تفسير (الميزان) في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ... ﴾، أي: أغشينا قلوبهم بأغشية وحجب حذار أن يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم وقرًا وثقلًا، أن يسمعوه فهم لا يسمعون القرآن سمع قبول، ولا يفقهونه فقه إيمان وتصديق، كل ذلك مجازاة لهم بما كفروا وفسقوا[٥٨].

وورد في تفسير (الأمثل): في هذه الآية إشارة إلى الوضع النفسي لبعض المشركين، فهم لا يبدون أية مرونة تجاه سماع الحقائق، بل أكثر من ذلك، ينصبون العداء للحقائق، ويقذفونها بالتهم، فيعدون أنفسهم وغيرهم عن الحقائق، وعن هؤلاء تقول الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، في الواقع كانت عقولهم وأفكارهم منغمسة في التعصب الجاهلي الأعمى، وفي المصالح المادية والأهواء، بحيث أصبحت وكأنها واقعة تحت الأستار والحواجز، فلا هم يسمعون حقيقة من الحقائق، ولا هم يدركون الأمور إدراكًا صحيحًا[٥٩].

ثامنًا: الطبع.

الطبع: أن تُصور الشيء بصورة ما، وهو أعم من الختم وأخص من النقش[٦٠]، فالطبع: هو أن يصبغ الله قلوبهم بصبغة غير صبغة الله تعالى، وهي صبغة الهوى والدنيا. وقد ذكر القرآن الكريم الطبع على القلب في آياته الكريمة، منها: قوله تعالى: ﴿...بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٦١]، وقوله تعالى: ﴿... وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[٦٢]، وقوله تعالى: ﴿... وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[٦٣]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[٦٥]، وقوله تعالى: ﴿...كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾[٦٦]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٦٧]، وقوله تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[٦٩]،

جاء في تفسير (زبدة التفاسير):" بل طبع الله عليها بكفرهم، أي: خذلها الله ومنعها الألطاف بكفرهم، وعدم تدبّرهم في الآيات، وتذكّرهُم في المواعظ، فصارت كالمطبوع عليها"[٧٠].

ورد في تفسير (تقريب القرآن)، شارحًا الآية المباركة ﴿...بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾" إن الإنسان إذا رأى الحق فأنكره وتكرر منه العصيان يكون قلبه في معزل عن الحق، وصار الإنكار كالملَكة له فإنه يعرف الحق كلما رآه لكنه... إذ قلما يرتدع من صار الإنكار ملَكَة له بسبب غيهِ وضلاله، ثم إن نسبة الطبع إلى الله تعالى إما حقيقة؛ لأنه خلق القلب كذلك، بحيث يصير الأمر المتكرر مَلَكَة له، وإما مجازًا يراد بذلك تركهم وشأنهم"[٧١].

تاسعًا: الزيغ.

قال تعالى: ﴿... فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾(٧٢)، وقال تعالى: ﴿... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ... ﴾(٧٣).

في (المفردات): "الزيغ: الميل عن الاستقامة، والتزايغ: التمايل... فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم: لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك"(٧٤).

ورد في ظلال القرآن: "وهنا يختلف الناس – حسب استقامة فطرتهم أو زيغها- في استقبال هذه الآيات وتلك. فأما الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وضلال عن سواء الفطرة، ويجرون وراء المتشابه الذي يعوّل في تصديقه على الإيمان بصدق مصدره، والتسليم بأنه هو الذي يعلم الحق كله، بينما الإدراك البشري نسبي محدود المجال. كما يعوّل فيه على استقامة الفطرة التي تدرك بالإلهام المباشر صدق هذا الكتاب كله، وأنه نزل بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. يجرون وراء المتشابه؛ لأنهم يجدون فيه مجالًا لإيقاع الفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة، والاختلافات التي تنشأ عن بلبلة الفكر، نتيجة إقحامه فيما لا مجال للفكر في تأويله .. [وما يعلم تأويله إلا الله] "(٧٥).

وجاء في تفسير (الأمثل) " الزيغ: في الأصل بمعنى الانحراف عن الخط المستقيم والتمايل إلى جهة، والزيغ في القلب بمعنى الانحراف العقائدي عن الصراط المستقيم"(٧٦).

المبحث الثّاني: أسباب أمراض القلوب:

لم تأتِ أمراض القلب من لا شيء، ولا من دون سبب، بل إن الأمراض لها علل ومناشئ تنتهي بإصابة القلب بتلك الأمراض، ونحن في هذا المبحث نحاول أن نسلط الضوء على مجموعة منها، متوخين الاختصار المفروض، والإيجاز غير المخل؛ ولذلك يقع الكلام في هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأوّل: اقتراف الذنوب واكتساب المعاصي.

١- **الكسب الحرام:**

قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(٧٧)، في هذه الآية الكريمة أن المراد من الكسب الحرام: ما يكسبه الإنسان من الذنوب والآثام، والمعاصي الحقيرة والجسام، والتي تصيب القلب فتمرضه.

جاء في تفسير (الميزان): " فكون ما كانوا يكسبون وهو الذنوب رينًا على قلوبهم هو حيلولة الذنوب بينهم وبين أن يدركوا الحق على ما هو عليه"(٧٨).

وذُكر أيضًا : أن الآية المباركة ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ... ﴾ يظهر منها أن للأعمال السيئة نقوشًا وصورًا في النفس تنتقش وتتصور بها، وأن هذه النقوش والصور تمنع النفس أن تدرك الحق كما هو وتحول بينها وبينه، وأن للنفس بحسب طبعها الأوّلي صفاء وجلاء تدرك به الحق كما هو، وتميّز بينه وبين الباطل، وتفرّق بين التقوى والفجور، ثم إنَّ الآية المباركة التي تلت آية الرين، وهي: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، فيها ردع عن كسب الذنوب الحائلة بين القلب وإدراك الحق[٧٩].

وأخرج الكليني في (الكافي) بإسناده، عن زرارة عن أبي جعفر(عليه السلام)، قال: ((ما من عبد إلا وفي قلبه نكتةً بيضاء فإذا أذنب ذنبًا خرج في تلك النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدًا وهو قول الله عزَّ وجلّ:﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٨٠] ...))[٨١]

وفي (أمالي) الصدوق وغيره : "عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام)، قال: كان أبي(عليه السلام) يقول: ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إنَّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتى تغلب عليه، فيصير أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله"[٨٢].

ثانيًا: التكبّر والتّجبّر.

قال تعالى: ﴿...كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٨٣]، فالكِبر: هو من الأخلاق الرذيلة التي يتصف بها بعض الناس، حيث يعتقدون بأنَّهم أفضل من أبناء جنسهم، وأشرف منهم، وهذا الاعتقاد يجعلهم يستنكفون عن عبادة الله وتصديق رسله، والابتعاد عن إتباع الحق، ونسبة التكبّر إلى القلب ذلك؛ لأن القلب تابع للبدن، فإذا تكبّر القلب تكبّر صاحبه، وتصرف برعونة تجاه الآخرين. وكذلك التجبّر فهو من الأخلاق المذمومة أيضًا، إذ لا تدخل الرحمة قلب الجبار، لعتوّهِ وتمردهِ.

وقد وصف الله نفسه بالجبار الذي ذم به خلقه ذلك؛ لأنه هو الذي يحييهم ويُميتهم على وفق أرادته تعالى فالوصف يليق به ولا يليق بغيره. وفي ذم المتكبر ورد عن أبي جعفر(عليه السلام): "((لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من كبر))"[٨٤].

والمتصفون بصفتي التكبر والتجبر يقفون في وجه الحق وأهله؛ لذلك سوف يسلب الله تعالى منهم روح طلب الحقيقة إلى درجة أن الحق سيكون مرًا في مذاقهم والباطل حلوًا[٨٥].

ثالثًا: إتباع الهوى.

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، أو سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[٨٦]. وقد ذم الله اتباع الهوى فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ... ﴾[٨٧]، فاتباع الهوى في الأمور يبعد الإنسان عن الإيمان بالله ويحجزه عن تقواه، فإذا استحسن الإنسان شيئًا وهواه اتخذه إلهًا، روي عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): "((الهوى ابغض إله عُبد على وجه الأرض))"[٨٨].

في تفسير (مفاتيح الغيب) أنَّ الله تعالى قال لنبيه موسى: "((يا موسى، خالف هواك فإني ما خلقت خلقًا نازعني في ملكي إلا الهوى))"[٨٩]. لذا يجب على الإنسان أن لا ينقاد لهوى نفسه، وان تكون طاعته لله تعالى وحده ولما جاء به نبيه، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به))[٩٠].

وجاء في تفسير (الكاشف):" كل منْ تغلّب هواه على دينه فقد أتخذ إلهه هواه، أراد ذلك أم لم يرد، ومن كان كذلك فلا أمل في هدايته؛ لأن كل آية لا تعكس رغبته وهواه فهي عنده سخف وهراء"[٩١].

رابعًا: أسباب تؤدي إلى قسوة القلب.

تحدثت آيات كثيرة عن القسوة، وبيّنت حقيقة أسباب هذا المرض الذي فتك بالقلب، وحجب العبد عن مولاه، منها:

١ــ الغفلة عن ذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٩٢]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٩٣].

ورد في (الكافي)، عن الإمام الصادق (عليه السلام):" أوحى الله عزَّ وَجلّ إلى موسى يا موسى – عليه السلام - لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب، وإن ترك ذكري يقسِ القلوب"[٩٤].

٢- نقض العهد والميثاق واتباع الشيطان.

قل تعلى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[٩٥]، وقل تعلى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٩٦]. أشارت الآية:﴿ فَبِمَانَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ إلى قضية عدم الوفاء بالعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على اليهود من الإيمان بالأنبياء والرسل واتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومناصرته إلا أنهم خالفوا المواثيق فكذبوا الرسل، وقتلوا الأنبياء، وحرفوا التوراة، وبدلوا دينهم،

ونتيجة لنقضهم الميثاق فقد لعنهم الله وطردهم من رحمته وجعل قلوبهم قاسية كالحجارة الصلبة بل أشد قسوة، وسلب منهم اللطف والتوفيق.

جاء في تفسير (الأمثل) في تفسير الآية ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ... ﴾" والحقيقة هي أن هؤلاء عوقبوا بهذين الجزاءين بسبب نقضهم لميثاقهم، فقد حرموا من رحمة الله، وتحجرت أفكارهم وقلوبهم فلم تعد تبدي أي مرونة أمام الحقائق" [٩٧].

أنَّ ما تضمنته الآية من قصة نقض اليهود لميثاقهم وما وقع لهم من اللعن والطرد وقسوة القلب وتحريف الكلم، هدفه تحذير الأمة الإسلامية من أن تنقض هي ميثاقها مع الله تعالى، فيصيبها ما أصابهم. وفي الآية تأكيد على الوفاء بالميثاق وقبح نقضه، إذ في نقضه استحقاق للضلال، وبعد عن الهدى، فكان نسيان اليهود لحظهم ونصيبهم سببه الإعراض عن التمسك بالمواثيق التي أخذها الله عليهم.

٣- طول الأمل:

هو استطالة العمر والتسويف بعمل الخير؛ وذلك للاستمتاع والراحة النفسية والاعتقاد بإمكانية التدارك والعمل في الأيام المقبلة قال تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٩٨]، فطول الأمل في الدنيا يقسِ القلب، وجاء في الحديث القدسي: ((يا موسى لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد ...))[٩٩]، وقال الإمام علي (عليه السلام): ((أيها الناس أن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة))[١٠٠]، وقال: ((منْ أطال الأمل أساء العمل))[١٠١].

المطلب الثَّاني: الإعراض عن الحق ونكرانه بعد المعرفة.

١ــ الكفر.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١٠٢]، فالكفر سبب رئيس في الطبع على القلب، ومنشأ أساسي لهذا المرض القلبي، وقال تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[١٠٣].

جاء في تفسير (الميزان) أنَّ قوله تعالى (قلوبنا غلف)[١٠٤] كلمة ذكروها يريدون بها رد الدعوة، وإن عدم إجابتهم للدعوة يعود إلى الله سبحانه؛ لأنهم خلقوا غلف القلوب، أو أنهم جعلوا بالنسبة إلى دعوة غير موسى كذلك، دون أن يسندوا ذلك إلى اختيارهم وصنعهم؛ ولذلك رد الله سبحانه عليهم، بقوله﴿ ... بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ... ﴾ فبيّن أن إباء قلوبهم عن استماع الدعوة الحقَّ مستند إلى صنع الله لكن لا كما يَدّعون أنهم لا صنع لهم في ذلك، بل إنما فعل ذلك بهم في مقابل كفرهم وجحودهم للحق، وكان أثر ذلك أن هؤلاء القوم لا يؤمنون إلا قليل منهم[١٠٤].

وذكر في (تقريب القرآن): أن قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: طبعها بالكفر، بمعنى جعلها بحيث يصعب إيمانها؛ لأنها اعتادت الكفر، وعدم الاستماع إلى الحق، وإنما ختم الله تعالى؛ لأنها لم تقبل الهداية، كمن يطرد ولده عن داره بعدما أرشده مرات، فلم يفد فيه النصح، كما قال تعالى:﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ أي: بسبب كفرهم(١٠٥).

وورد أيضًا" إن الإنسان إذا رأى الحق فأنكره وتكرر منه العصيان يكون قلبه في معزل عن الحق، وصار الإنكار كالملَكة له فإنه يعرف الحق كلما رآه لكنه ينكره، لا لأنه لا يرى الحق – لأن قلبه في غلاف- وعلى هذا يكون معنى بكفرهم : لسبب كفرهم"(١٠٦).

٢ـــ الانحراف وترك الحق.

قال تعالى: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾(١٠٨)، وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١٠٩) وقال تعالى: ﴿ ... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ... ﴾ (١١٠)، فهذه الآيات وغيرها تشير بصورة واضحة إلى أن الانحراف عن الصواب وترك الحق يؤدي لا محالة إلى زيغ القلب، والطبع عليه ومرضه.

وذكر في (الأمثل): هذه الحالة المرضيّة التي تصيب قلب الإنسان، هي في الحقيقة ردة فعل لأعمال الإنسان نفسه. من المظاهر الطبيعية في الموجود البشري، أنَّ الإنسان لو تعوّد على الإنحراف واستأنس به، يتخذ في المرحلة الأوّلى ماهية الحالة، ثم يتحوّل إلى عادة، وبعدها يصبح ملكة، وجزء من تكوين الإنسان، حتى يبلغ أحيانًا درجة لا يستطيع الإنسان أن يتخلّى عنها أبدًا، لكن الإنسان اختار طريق الانحراف هذا عن علم ووعي، ومن هنا كان هو المسؤول عن عواقب أعماله، دون أن يكون في المسألة جبر، تمامًا مثل شخص فقأ عينيه وسد أُذنيه عمدًا، كي لا يسمع ولا يرى، ولو رأينا أن الآيات تنسب الختم وإسدال الغشاوة إلى الله تعالى، فذلك؛ لأنَّ الله تعالى هو الذّي منح الانحراف مثل هذه الخاصيّة(١١١).

الخاتمة

تناول البحث دراسة موضوعية، عن أمراض القلوب الواردة في القرآن الكريم، وخلصت فيه إلى أهم النتائج:

١ــ تضمّن القرآن الكريم بيانًا واضحًا جليًّا لمعنى القلب الذّي يتعرّض إلى السلامة والمرض.

٢- تضمّن القرآن الكريم بيانًا واضحًا جليًّا لأمراض القلوب، وقد ذكرنا منها تسعة أمراض.

٣- لفساد القلوب ومرضها أسبابًا وعللًا، منها اقتراف الذنوب واكتساب المعاصي، والإعراض عن الحق ونكرانه بعد المعرفة.

٤- إن سبب دمار النفوس بل الجماعات هو مرض القلوب، وأن منشأ صلاحها وإبداعها ورقيها سلامة القلوب.

٥- إن المعترضين على نبوّة الأنبياء ودعوة المصلحين هم مرضى القلوب.

٦- على أهل العلم والتربية والإصلاح الالتفات للجانب القلبي، والتأكيد عليه، وبيان مدى أهميّته في الدارين.

الهوامش

١ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ٦٩٧- ٧٠٠.

٢- سورة الحج : ٤٦.

٣- معجم مقاييس اللغة: ٣١١/٥.

٤- ينظر: لسان العرب: ٢٣١/٧- ٢٣٢.

٥- ينظر: القلب السليم أساس المجتمع السليم: ص٢٧.

٦- مختصر تفسير البغوي: ١٩/١.

٧- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٤٦٦.

٨- ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٧/٥.

٩- ينظر: لسان العرب: ٦٨٥/١.

١٠- الصحاح: ٢٠٤/١.

١١- ينظر : إحياء علوم الدين: ٦/٨ ، مقامات القلب: ص٩.

١٢- ينظر : إحياء علوم الدين: ٦/٨ ، مقامات القلب: ص٩ ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩٠/١.

١٣- بحار الأنوار: ٣٤/٦٧.

١٤- سورة المطففين: ١٤.

١٥- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٢٠٨

١٦- ينظر: مجمع البيان: ٢٩٣/١٠.

١٧- الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٤/٢٠.

١٨- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨٩/١.

١٩- سورة البقرة: ٨٨ .

٢٠- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٣٦٤.

٢١- ينظر: مفاتيح الغيب: ١٦٢/٣-١٦٣.

٢٢- ينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٢٧١/١.

٢٣- سورة فصلت: ٥.

٢٤- الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٠/١.

٢٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٩٠/١.

٢٦- سورة التوبة: من الآية : ١٢٧

٢٧- ينظر: لسان العرب: ٩/ ١٨٩.

٢٨- الميزان في تفسير القرآن: ٤١١/٩.

٢٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٨١/٦.

٣٠- جامع البيان : ٩٩/١١.

٣١- سورة البقرة: من الآية: ٧.

٣٢- سورة الأنعام: من الآية: ٤٦.

٣٣- سورة الجاثية: من الآية: ٢٣.

٣٤- ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٥/٢ ، وينظر: لسان العرب: ٢/ ١٦٣.

٣٥- الميزان في تفسير القرآن: ٥٢/١ .

٣٦- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٨٥- ٨٦.

٣٧- ينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: ١٠٥/١.

٣٨- ينظر: تفسير السمرقندي : ٩١/١.

٣٩- سورة الأنعام: ٤٣.

٤٠- سورة البقرة : من الآية : ٧٤.

٤١- سورة الحديد: من الآية: ١٦.

٤٢- سورة المائدة: من الآية: ١٣.

٤٣- سورة الحج: ٥٣.

٤٤- سورة الزمر: ٢٢.

٤٥- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٣/١.

٤٦- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٢٦٧.

٤٧- سورة الأنعام: ٤٣.

٤٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٨٦/٤.

٤٩- سورة محمد: ٢٤.

٥٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٧/٦.

٥١- مفاتيح الغيب: ٥٧/٢٨.

٥٢- الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٤٦.

٥٣- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٧٧/٦.

٥٤- سورة الإسراء: ٤٦.

٥٥- سورة الانعام : من الآية ٢٥.

٥٦- سورة فصلت: من الآية: ٥.

٥٧- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٤٤٢.

٥٨- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١١٤/١٣.

٥٩- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٤٧/٤-٢٤٨.

٦٠- ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص٣٠١.

٦١- سورة النساء: من الآية: ١٥٥.

٦٢- سورة التوبة: من الآية: ٨٧.

٦٣- سورة الأعراف: من الآية: ١٠٠.

٦٤- سورة الأعراف: من الآية: ١٠١.

٦٥- سورة النحل: ١٠٨.

٦٦- سورة غافر: من الآية: ٣٥.

٦٧- سورة الروم: ٥٩.

٦٨- سورة محمد: من الآية: ١٦.

٦٩- سورة المنافقون: ٣.

٧٠- زبدة التفاسير: ١٨٧/٢.

٧١- تقريب القرآن إلى الأذهان: ٥٧٨/١.

٧٢- سورة الصف: من الآية: ٥.

٧٣- سورة آل عمران: من الآية: ٧.

٧٤- المفردات في غريب القرآن: ص٢١٧.

٧٥- في ظلال القرآن: ٣٦٩/١-٣٧٠.

٧٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٩٦/٢.

٧٧- سورة المطففين: ١٤.

٧٨- الميزان في تفسير القرآن: ٢٣٤/٢٠.

٧٩- ينظر: المصدر نفسه.

٨٠- سورة المطففين: ١٤.

٨١- الكافي ، باب الذنوب ، حديث رقم ٢٠ : ٢٧٣/٢.

٨٢- الأمالي: حديث رقم ٩/٦٤٩ : ص٤٨١ ، وينظر: بحار الأنوار، باب القلب صلاحه وفساده ، حديث رقم ٢٢ : ٥٤/٦٧.

٨٣- سورة غافر: من الآية: ٣٥.

٨٤- بحار الأنوار، باب ذم إنكار الحق والإعراض عنه والطعن على أهله، حديث رقم ٢ : ٢/ ١٤١.

٨٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٦١/١٥.

٨٦- المفردات في غريب القرآن: ص٨٤٩.

٨٧- سورة الجاثية: من الآية: ٢٣.

٨٨- شرح نهج البلاغة: ٣٣٢/٢.

٨٩- مفاتيح الغيب: ٢٦٧/١.

٩٠- كتاب الأربعين، باب التشديد في مخالفة السنة، حديث رقم ٩ : ص٥٣.

٩١- التفسير الكاشف: ٤٧١/٥.

٩٢- سورة الأنعام : ٤٣.

٩٣- سورة الزمر: من الآية: ٢٢.

٩٤- الكافي، باب: ما يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس، حديث رقم ٧: ٤٩٧/٢.

٩٥- سورة المائدة: من الآية: ١٣.

٩٦- سورة الحج: ٥٣.

٩٧- الأمثل: ٦٤٣/٣.

٩٨- سورة الحديد: من الآية: ١٦.

٩٩- تحف العقول عن آل الرسول: مناجاة الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام ص٤٩٠.

١٠٠- نهج البلاغة، خطبة ٤٢: ٩٢/١- ٩٣.

١٠١- المصدر نفسه، حكمة رقم ٣٦: ١٠/٤.

١٠٢- سورة النساء: ٥٥.

١٠٣- سورة الأعراف: ١٠١.

١٠٤- سورة النساء: من الآية: ١٥٥.

١٠٥- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣١/٥.

١٠٦- ينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: ١٠٥/١.

١٠٧- المصدر نفسه: ص٥٨٧.

١٠٨- سورة التوبة:٨٧.

١٠٩- سورة محمد: ١٦.

١١٠- سورة الصف: من الآية: ٥.

١١١- سورة آل عمران: من الآية: ٧.

١١٢- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨٦/١-٨٧.

المصادر

- القرآن الكريم.

١ــ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ت(٥٠٥ه)، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢ــ الأمالي، للشيخ الصدوق، ت(٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة – قم، (ط١، ١٤١٧ه).

٣ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ: ناصر مكارم الشيرازي، (مكتبة أهل البيت الالكترونية).

٤ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للشيخ: محمد باقر المجلسي، ت(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان، (ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٥ ــ بحر العلوم ، لأبي الليث السمرقندي، ت(٣٨٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت.

٦ـ البرهان في تفسير القرآن، للسيد هاشم الحسيني البحراني، ت(١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة – قم.

٧ــ تحف العقول عن آل الرسول، لابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم،(ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش).

٨ـ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ت(١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين – لبنان، (ط٣، ١٩٨١).

٩ــ التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ت(٦٠٦ه) ، دار الكتب العلمية – بيروت،(ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م).

١٠ـ تقريب القرآن إلى الأذهان، للسيد: محمد الحسيني الشيرازي، ت(١٤٢٢هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر – بيروت- لبنان، (ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

١١ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت(٣١٠هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

١٢ـ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت(٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١٣ـ زبدة التفاسير، للملا: فتح الله الكاشاني، ت(٩٨٨هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية – قم- إيران، (ط١، ١٤٢٣هـ).

١٤ـ شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني، ت(٦٧٩هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي – الحوزة العلمية- قم – إيران، (ط١، ١٣٦٢هـ).

١٥ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ت(٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين – بيروت- لبنان، (ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٦ـ في ظلال القرآن، للشيخ: سيد قطب، دار الشروق – القاهرة.

١٧ـ القلب السليم أساس المجتمع السليم، محمد عبد الله ابن التمين، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري- دبي، (ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠١٢م).
١٨ـ الكافي: للشيخ: أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت(٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية – طهران، (ط٤، ١٣٦٥ش).
١٩ـ كتاب الأربعين: للحسن بن سفيان النسوي، ت(٣٠٣ه)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية – الكويت،(ط١، ١٤١٤ه).
٢٠ـ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم أبن منظور الأفريقي، ت(٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم – إيران، (١٤٠٥هـ).
٢١ـ مجمع البيان، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت(٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٢٢ـ مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد علي الزيد، دار السلام- الرياض، (ط١، ١٤١٦هـ).
٢٣ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة ظهور- إيران (ط٣، ١٣٨٤ه).
٢٤ـ معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي،(١٤٠٤ه).
٢٥ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ت(٤٢٥هـ)، دفتر نشر الكتاب، (ط٢، ١٤٠٤هـ).
٢٦ـ مقامات القلب، للعلامة: الفيض الكاشاني، نشر: ذوي القربى، مطبعة: ظهور، (ط١، ١٤٢٦ه).
٢٧ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ت(١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم .
٢٨ـ نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ت(٤٠ه)، شرح: الشيخ: محمد عبده، دار المعرفة – بيروت- لبنان.